

الإرهاب والتسامح في فلسفة حنة أرندت

*Terrorism and Forgiving in Hannah Arendt's
Philosophy*

إعداد الباحث

شريف صلاح الدين سعد محمد

يتناول هذا البحث ظاهرة الإرهاب، وكيف يتميز الإرهاب كظاهرة فينومينولوجية عن غيرة من أشكال العنف السياسي، بكونه ظاهرة تحدث بطريقه دراماتيكية "dramatization"، لجذب الانتباه العام، وإن الإرهاب ليس هو نفسه العنف، وإن الإرهاب الديني ظهر أيضاً في الدين السياسي العلماني "Secular Religion" بوضوح عندما قامت الأنظمة الشيوعية بمحاربه الدين واضطهادها للحريات الدينية، لذلك تري ارندت أن السلطة لا يجب أن تكون مستمدة من خلفية دينية أو ذات مصدر مقدس بل هي سلطة دنيوية قانونية، وأخيراً تري ارندت أن لا بد من الصبح "forgiving"، لأنه الحل الحقيقي لتترك الماضي المؤلم، وبدأ حياة أكثر صفاء وعدلاً وحرية.

- This research deals with the phenomenon of terrorism, and how terrorism is differentiated, as a phenomenological phenomenon, from other forms of political violence as a phenomenon that occurs in a dramatic way to attract public attention, and that terrorism is not the violence itself, Religious terrorism also appeared in the secular political religion clearly when the communist regimes fought religion and persecution of religious freedom, so **Arendt** sees that the authority should not be derived from a religious background or a sacred source, but a legal worldly authority, Finally, **Arendt** argues that forgiving is very necessary, because it is the real solution to leaving the painful past and beginning a more just, just and free life.

فهرس الموضوعات

- المقدمة.

أولاً - فينومينولوجيا الإرهاب.

ثانياً - الإرهاب الديني.

ثالثاً - الإرهاب الكلي.

رابعاً - الصفح والتعهد (التسامح).

المقدمة

إن الحرية والمساواة صفتان ملازمتان للطبيعة البشرية منذ الولادة، وإن المؤسسات الاجتماعية والسياسية هي التي خلقت التفاوت والقيود، وإن الحرية التي يتطلع إليها الناس هي حرية بالمقارنة مع الوجود السياسي وحرية الوجود تسعى إلى أن يكون المجتمع ديمقراطياً ويسمح للأفراد بأن يكونوا مواطنين أحرار، وأن يختاروا عقائدهم ويغيروها متى شاءوا دون وصاية أو محاسبة.

إن الدين ظاهرة اجتماعية "Social phenomenon" تخضع للتحوّل بحسب الظروف التي يمرّ بها أتباعه؛ وصعودُ التيارات الدينية السلمية أو العنيفة لا يعتمد بالدرجة الأولى على النصوص والمحتوى العقائدي للأديان، بل على السياق الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فقد تظهر مخالف الأديان في لحظات شعورها بالخطر أو في لحظات التعصب ضد الآخر (مثلها في ذلك مثل الأيديولوجيات الكبرى المختلفة)، وتتحول أيضاً إلى قوة داعية إلى السلام أو العدل في سياق أكثر ازدهاراً.

وإذا اعتمدنا مقارنةً سيكولوجيةً وظيفيةً (تعرّف الدين بحكم وظيفته) أي بوصفه نظاماً موحداً من الاعتقادات والممارسات المرتبطة بالأشياء المقدسة، أي الأشياء المتميزة عن غيرها والمحاطة بالحرمة، فإننا سنجد أن بعض الظواهر العلمانية الحديثة تمتلك هذه السمات التي تُعزى للدين وتؤدي تلك الوظيفة التي يقوم بها الدين، وإذا كان الدين هو ما يكون البشر مستعدين للتضحية بأنفسهم في سبيله، فإن الموت في سبيل العلم والأمة القومية قد أصبح هو المعادل للشهادة في الدين العلماني، لذلك سوف نتحدث عن الإرهاب عندما يتخذ الدين شكلاً علمانياً.

تذهب ارندت إلي التوقف عن النظر إلى الطبيعة البشرية من زاوية الألهية التي خلقتها، وعن مفهمة الملكات البشرية وكيفياتها، وعن منح الطبيعة البشرية صفات إلهية خاصة بالإنسان الأعلى، وأنه يجب الانطلاق من شروط الوجود البشري والانغراس

في الحياة في حد ذاتها والتركيز على الفترة الممتدة بين الولادة والوفاة والتعامل مع التعدد والحرية بوصفهما وضعيات الانتماء إلى العالم، والانتباه إلى التهديدات الخاصة بالوضع البشري وما يترتب عليها من عنف وإرهاب.

إن فضيلة التسامح تطلب منا حضور الآخرين والاعتراف بحاجتنا الدائمة إليهم وتجاوز الخلافات الأيديولوجية من أجل عالم أفضل ومستقبل أكثر إشراقاً وتقدماً، فلكل نهاية في التاريخ لابد أن تتضمن بداية جديدة بالضرورة، وليست هذه البداية سوى التعاهد بالعيش في عالم مشترك أكثر حرية وقابلية للفكر الآخر.

فينومينولوجيا الإرهاب

يتميز الإرهاب "Terrorism" كظاهرة فينومينولوجية عن غيرة من أشكال العنف السياسي، بأنه ظاهرة تحدث بطريقه دراماتيكية "dramatization"، ولا بد أن تتم بهذا الأسلوب (الإرهاب مسرح Terrorism is theater)، لجذب الانتباه العام، وخلق مناخ من الرعب يتجاوز الضحايا الواقعيين الذين تعرضوا لهذا العنف، لأن هويه الضحايا غالباً ما تكون ثانوية أو غير مهمه للإرهابيين، لأن عنفهم بالإساس يتجه إلي الجمهور المستهدف الذي يشاهد العنف.

إن الإرهاب يختلف عن الإبادة الجماعية "Genocide" أو القتل الجماعي "Mass killing" من حيث أن الإرهاب يهدف إلي قتل عدد محدود من الناس للتأثير علي جمهور أوسع، بينما يذهب القتل الجماعي أو الإبادة الجماعية إلي الخلاص النهائي من جماعه معينه لأهداف أيديولوجية عنصريه ما، كاستهداف هتلر والنازيون إبادة اليهود، أو استهداف الهوتو "Hutus" قتل التوتسي "Tutsis" في رواندا، فالضحية هي المستهدفة، أما في الإرهاب فإن الهدف الحقيقي هو الجمهور المشاهد أو النظام لا الضحية ذاتها، فالإرهابيون يحاولون إيصال رسالتهم إلي قطاع واسع من الأفراد، وبهذا تكون ضحاياهم شيئاً عارضاً في خدمة قضاياهم^(١).

إن الشخصية الإرهابية أو المتطرفين سياسياً أسوياء "Psychologically normal" بشكل عام في العديد من الوجود (إنهم ليسوا مجانين أو يعانون مشاكل نفسيه صارخه) علي الرغم من أنهم يظلون، من دون شك، موجهين بأيديولوجية (تبرر) أفعالهم،

(١) David Patrick Houghton, Political Psychology: Situations, Individuals, and Cases, Routledge, Taylor & Francis Group Ltd, Oxford, 2009, p.202.

تقول مارثا كرنشو "Martha Crenshaw"^(٢): "إن هؤلاء الإرهابيين حتي الذين يقتلون أنفسهم هم أفراد أسوياء وليس نفسياً سيكوباتيين" "Psychopaths"^(٣).

فقد رأينا أشخاصاً (عاديين) كأدولف ايخمان تحملوا مسؤولية أعمال شنيعة ومروعة، وإذا كان هناك أشخاص أسوياء يستطيعون ارتكاب مثل هذه الأفعال، يجب أن لا نستغرب بالتالي أن أشخاص أسوياء بالقدر ذاته يقومون بارتكاب فظائع مشابهة باسم قضية أيديولوجية في ظل الإغراءات الاجتماعية المناسبة، وترجع أرندت هذه الأفعال إلي غياب القدرة علي الفهم، فالفكر لا تحكمه أية غائبية، لأن الفكر، بحسب أرندت، يتحول إلى شيء في ذاته، لذلك تقصد بغياب الفكر "absence thought" نشاط الفكر في ذاته^(٤)، أي أن القصد الأول والنهائي ليس نسيان الطريقة- الشكل، ولا نوعاً من (الغباء/ البلادة)، وإنما غياب القدرة على الفهم^(٥)، كما أنه ليس نوعاً من الاستلاب الأخلاقي "moral" "insanity"، بل هو هذا النشاط الذاتي للفكر بما هو فكر، أي القدرة على الفحص التي تستطيع وحدها أن تجنبنا الشر^(٦).

يمتلك معظم الإرهابيين شعوراً بأن ليس لديهم خياراً آخر غير أن يقوموا بتلك الأعمال الإرهابية، ولا يستطيعون الوصول إلي أهدافهم إلا عن طريق اللجوء إلي العنف السياسي، وربما يشعرون أكثر من ذلك بأنهم سيصبحون في شرك ومخالفه عظيمة للأيديولوجية الحاكمة لهم، حيث يقول كلٌّ من تايلر "Maxwell Taylor" وكويل

(٢) مارثا كرنشو "Martha Crenshaw"، أستاذ العلوم السياسية في جامعة ستانفورد، واحدة من الرواد في دراسات الإرهاب وخبيرة في دراسات الإرهاب وكبيرة زملاء في معهد (FSI) ومركز الأمن والتعاون الدولي (CISAC)، وأهم كتابها موسوعة الإرهاب العالمي، والإرهاب الثوري.

(1) Martha Crenshaw, The Causes of Terrorism, Comparative Politics, Vol:13, No.4, City University of New York, 1981, pp.379-399.

(2) Hannah Arendt, the Life of the Mind, Harcourt Brace, New York, 1978, p.5.

(3) Ibid, p.4.

(4) Ibid, p.5.

"Ethel Quayle" في مقابلتهم لإرهابيين: "إن القاسم المشترك بينهم هو الاعتقاد بأنهم في حالة دفاع عن النفس ضد عدو، ويشعرون بأن العنف ما هو إلا الاستجابة الحتمية لذلك التهديد الخارجي"^(٧). إن هؤلاء الأشخاص يبالغون في تقدير الظروف الخارجية في توجيه سلوكهم.

ولكن من المعقول أيضاً أن نفترض أن هناك بعض الظروف لا تتيح لنا كثيراً من الخيارات؛ ففي الأنظمة الشمولية والاستبدادية بوجه خاص، قد يكون الإرهاب حقيقةً هو المسار الوحيد المتاح لأولئك الذين يسعون إلى التغيير، وبهذا تنشأ جدلية العنف المشروع وغير المشروع لترتبط بالإرهاب المشروع وغير المشروع وذلك في خضم الصراع على السلطة، فعنف الإرهاب يسعى إلى تدمير السلطة، وإرهاب السلطة يسعى إلى الحفاظ على النظام والهيمنة، ومن هنا هل يصبح هنا العنف إرهاباً والإرهاب عنفاً بالضرورة؟

تجيب حنة أرنندت عن ذلك بقولها: "إن الإرهاب ليس هو نفسه العنف، إنه في الواقع شكل الحكومة التي تكون في السلطة عندما يكون العنف قد دمر كل سلطة، رافضاً التنازل عن مكانه، خاضعاً كل شيء لسيطرته"^(٨) (٩).

والفرق بين الإرهاب والعنف هو أن الإرهاب عنف منظم ومقنن ويهدف إلى تحقيق أهداف محددة تقوم به منظمات غير حكومية غالباً، كما يستخدم وسائل متعددة لتحقيق أهدافه، ومنها تهديد العدو والمقابل وإيقافه عند حدة أو الانتقام منه لكسر شوكته

(1) Maxwell Taylor, Ethel Quayle, Terrorist lives, Brassey's, London, 1994, p.90.

(2) Hannah Arendt, On Violence, Harcourt Brace, New York, 1970, p.50.
قارن الترجمة العربية (حنة أرنندت، في العنف ترجمة إبراهيم العريس، دار الساقي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص ٤٩).

(٣) إن هذه العبارات تشير إلى أن هناك علاقه تبادلية بين العنف والإرهاب، فيتم رجوع أسباب الإرهاب إلى الحكومات فقط ومن ثم ينتج عن هذا الإرهاب العنف، وذلك لأن أرنندت تناولت ظاهرة الإرهاب من اتجاه السلطة الشمولية متجاهلاً الظاهرة كظاهرة سياسية اجتماعية قد تنبع من المجتمع أيضاً.

أو تدميره، من دون استخدام قواعد ومعايير أخلاقية، هذا النوع من الإرهاب هو غير مشروع ولا أخلاقي، لأنه موجة ضد الأبرياء من المدنيين والممتلكات العامة والخاصة، أما العنف المشروع فهو عنف محدد وموجة نحو هدف أخلاقي هو تحرير الوطن من الاحتلال والاستغلال والتخلص من الظلم والقمع أو الدفاع عن النفس، وهو عنف مضاد ورد فعل على أعمال العنف أو إرهاب تقوم بها منظمة سياسية أو دولة ضد دولة معتدية أخرى، كما يحدث في فلسطين ضد الاحتلال الصهيوني^(١).

ولكن هنا سؤال أساسي: هل الإرهاب من صنع المجتمع أم السلطة؟

يرى كثير من المفكرين والسياسيين، إن الإرهاب ظاهرة اجتماعية سياسية لكنه ليس من صنع المجتمع دائماً، بل قد يكون من صنع النظام وفقاً لقاعدة "الفعل ورد الفعل"، فإن بعض الجماعات التي تمارس الإرهاب والعنف قد يكون أوجدها النظام السياسي ليستعملها كجماعات قتالية لإبقاء الناس على الولاء لذلك النظام، وبعضها الآخر تستعمله الدولة ضد دولة أخرى^(٢)، وهذه الجماعات التي صنعها النظام تمارس عنفاً، لكنه عنف غير رسمي، فهي وسيلة في يد النظام لتبرير بقائه في السلطة ومحاولة كسب الجماهير، لأن النظام عندما يظهر هذه الجماعات الإرهابية في صورة التدمير يجعل ذلك من الجماهير مطالبه الدولة بالتدخل لحمايتهم، وهنا سيكون الولاء المطلق للنظام، و يصبح بالتالي الإرهاب وسيلة للدولة للتقرب من المجتمع.

ويتخذ الإرهاب أشكالاً كثيرة ترجع كل واحد منهما إلى الأيديولوجية التي تحكمه، وأهمهم الأيديولوجية الدينية المتطرفة أو الإرهاب الديني.

(١) إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، الطبعة الأولى، دار الساقى، بيروت، ٢٠١٥، ص ٣٤، ٣٥.

(٢) شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص ٣٠.

الإرهاب الديني

إن السياسة تتشابه مع الدين فينومينولوجياً في اشكالية البدء والتأسيس والانطلاق، وأيضا اشكالية النهايات، وتجربة الأهداف الكلية والغايات الكبرى التي يسعى الفاعلون إلى إنجازها وتمامها، من خلال هذا تقول أرندت: "إن العمل السياسي مثل كل الأعمال، ينطوي علي بداية، والبداية من وجهة نظر السياسة تتمثل في جوهر الحرية الإنسانية"^(١٣).

إن الدين ظاهرة تحتل موقعا متميزا علي صعيد الفكر والممارسة في المجتمعات الإنسانية، ولا يهنا هنا تناول الأديان من حيث العقيدة أو الايمان بالغيبيات، حيث أن تناولنا للدين هنا لا يعني أننا نستخدمه وفق معناه المقدس، بقدر تناوله كظاهرة سياسية، واعتباره حركة اجتماعية تعبر عن مجموعات منظمه، لذلك جعلت أرندت انتمائها للتهود سياسياً بالدرجة الأولى من خلال حياتها الفكرية.

إن السياسة ترتكن علي الدين وتأخذ منه سندا وجدانياً وأخلاقياً لأيديولوجيتها الاجتماعية التي تعمل من أجل تأييدها وسيطرتها، كذلك يستند الدين علي السياسة، ويعتبرها آلية لنشر مقولاته وتدعم وجوده، لذلك يمكن القول، إن الدين هو روح الممارسة، كما أن الممارسة تعد بمثابة جسد الدين، وإذا كان الدين يعد أهم أحد العناصر الرئيسية في إثارة الحركات الاجتماعية التي تسعى لتحقيق إنجازات معنوية، فإن تسييس الدين بمثابة استجابة لدلالات أيديولوجية، وظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية^(١٣).

وما ينتج عن تلك الأيديولوجيات مجموعتان أو طائفتان، تسعى الأولى إلي

(1) Hannah Arendt, Essays in Understanding, Schocken Books, New York, 1994, pp.320,321.

(٢) شحاته صيام، العنف والخطاب الديني، كتب عربي، ١٩٩٢، ص ص ٦، ٧.

الانعزال عن المجتمع والتقوق داخل خصوصيتها، وتنتظر وجود واقع بديل، أما الأخرى فتسعي إلى مجابهة المجتمع والانخراط في الصراع السياسي مستخدمة في ذلك كل صور العنف واهمها الإرهاب، وإن الفرق بين الأولي والثانية لا يقف عند حدود النظر إلى إيجاد مجتمع جديد فحسب، بل تسعي تلك المجموعات إلى سيادة البديل والايديولوجيا الذي تسعي إليها^(١٤).

إن العنف كما نعرف ليس ظاهرة مستحدثة أو طارئة علي هذه الجماعات الأصولية الدينية، وإنما هو شيء في تركيبها ذاته، وهو جزء لا يتجزأ من تكوينها الذهني والنفسي، وهو وسيلتها الوحيدة لتحقيق أهدافها، ويرى عالم النفس الاجتماعي الفرنسي "بيار بورديو Pierre Bourdieu" أن الخطاب الديني المتطرف (الأصولي) هو خطاب رمزي يؤول النصوص الدينية ويشوهها عبر خطاب عاطفي لاعقلاني، فهو يمتلك سلطه رمزيه تكتسب شرعيتها من مقولاتها الخاصة ومن منطقتها الداخلي ومن مفاهيمها الذاتية، كما يستمد شرعيته من استعدادات مؤيديه بشكل غيبي وانفعالي يدغخ الغرائز الحسية والجسدية وينتج تأويلات خاطئة لمفهوم الحوار الثقلي لأنه مستمد من خطاب ديني أسير الصورة الأولي البدائية وتتحكم فيه ثنائيات ساذجة كالخير والشر، والايمان والكفر، والعقل والنقل، حيث ينتقل الخطاب الديني إلى خطاب إلهي يتماثل مع النص الديني المقدس أو يتماهى معه ويخلق صورة لخطاب يقترب من المقدس ويتعالى علي الواقع ولا يعترف بالمتغيرات التي تحدث فيه، يقول بيار بورديو: "العنف الرمزي ذلك العنف الناعم واللامحسوس واللامرئي من ضحاياهم، والذي يمارس في جوهره بالطرق الرمزية الصرفة للاتصال والمعرفة، أو أكثر تحديداً بالجهل والاعتراف، أو بالعاطفة حداً أدني"^(١٥).

(١) المرجع السابق، ص ١٩.

(2) بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩، ص ص ٨٠٩.

لكن ينبغي أن نميز حسب أرندت بين النسق الديني المتعالي الذي يدور حول وحي منزل والدين العلماني الوضعي "Secular Religion" الذي شكلته جماعة سياسية واعتقدت في ثبات وصدق مبادئه وقواعده وأهدافه، مثل الشيوعية التي قد كونت ديناً علمانياً جديداً وسمحت بإدخال القداسة إلى حقل الشؤون العامة، بعد أن قامت بالفصل بين الكنيسة والدولة وجعلت مشكلة العلاقات بين الدين السماوي والسياسة في طي النسيان، تقول أرندت: "إن عالمنا الروحاني عالم علماني على وجه التحديد لأنه عالم من الشك"^(١٦).

بالتالي يمكن معاملة تلك الأيديولوجيات الحديثة بأنها ديانات ذات طابع سياسي علماني، بعيداً عن الفهم الماركسي للدين بوصفه أيديولوجيا بسيطة ومحضت تستعملها الطبقة الحاكمة من أجل الهيمنة والمحافظة على مصالحها، وفي نفس السياق يمكن التعامل مع الإلحاد أيضاً على أنه العقيدة الأولى التي نظر إليها بوصفها ديناً جديداً، وأن الحجج التي تدل على اعتبار الإلحاد ديناً هي حجج كثيرة، وأهمهم تعود إلى نيتشه القائل "بموت الآلهة"^(١٧)، بالإضافة إلى قيام الثورة العلمية والتي كانت تشكل أيديولوجية واعتقاداً واعتقاداً راسخاً في العلوم الطبيعية.

إن الإرهاب الديني ظهر أيضاً في الدين السياسي العلماني بوضوح عندما قامت الأنظمة الشيوعية بمحاربه الدين واضطهادها للحريات الدينية وتضييقها على المؤسسات الدينية، وكان ذلك على حساب الحريات المدنية والسياسية وليس على حساب قيم التسامح والاختلاف والنسبية فقط، كما أن نفي الأنظمة الشيوعية للدين قد أفضى إلى الوقوع في أسوأ دين وهو تقديس الزعامات وشخصنة الأفكار وتبني الدين السياسي العلماني الذي يعاني هو بدوره من تحريفات الشمولية والأيديولوجيا الوضعية البائسة

(1) Hannah Arendt, Essays in Understanding, Op.cit, p.369.

(2) Friedrich Nietzsche, Thus Spoke Zarathustra, Edited by Bill Chapko, Translated by Thomas Common, Feedbooks, 2010, p.13.

المتعارضة مع الأبعاد الروحية للطبيعة البشرية والتي نادى بالقيم المادية الجافة ودخلت في مواجهة مع كل دين حر وكل فن حر وكل فلسفة حرة وثقافة منتجة ترتبط بالإنسان المنتج والخصوصيات الرمزية للشعوب^(١٨).

إن الخطر هو أن يتحول الدين إلى مجرد سياق في خدمة القرار السياسي الشمولي، وأن تصبح الحياة السياسية مجالاً للعاطفة الدينية ويتم استعمال الدين لإحداث التفاوت والتفرقة بين أعضاء المجتمع الواحد وحرمان البعض من حق المواطنة وتحويله إلى أيديولوجيا تتصف بالتعصب وتبرر الشمولية الغريبة عن جوهر الحرية الانسانية، إن الحرب الأيديولوجية تحول الدين إلى خطر أيديولوجي يبرر العنف عن طريق احتكار تصريح شؤون المقدس والانتقال به من دائرة المجال الخاص إلى دائرة أوسع هي دائرة المجال العام^(١٩).

لذلك ترى أرندت أن السلطة لا يجب أن تكون مستمدة من خلفية دينية وذات مصدر مقدس حتى وأن كانت تشير إلى التقاليد والتراث والقيم الروحية وتتأسس على الماضي والهوية الثقافية للشعب، بل هي سلطة دنيوية قانونية، كما أن مفهوم الحرية ينبغي ألا يكون مستمداً من أصل ديني لأن الصراع من أجل الحرية لا يبدو متطابقاً ومتفقاً مع النسق الديني العادي بل يمكن لنظام سياسي قائماً على الحرية أن يسمح بالحرية الدينية والمعتقد، تقول أرندت: "إن السياسة تنظم في الحال كائنات مختلفة اختلافاً مطلقاً مع الأخذ في الاعتبار مساواتهم النسبية والعمل على تجريد اختلافاتهم الخاصة"^(٢٠)، ونحن مدعون لصناعة بشر وليس ملائكة، فإن ما نوفرة للوجود الإنساني هو ما لا يمكن أن يتحقق إلا بواسطة دولة تمتلك شرعية احتكار العنف، وتحمي الناس من

(٣) زهير الخويلدي، مدينة الإسلام في مواجهة عولمة الإرهاب، الطبعة الأولى، E-kutub Ltd، لندن، ٢٠١٦، ص ٣٨٩.

(١) المرجع السابق، ص ص ٣٩٠-٣٩١.

(2) Hannah Arendt, the Promise of Politics, Edited by Jerome Kohn, Schocken Books, New York, 2005, p.96.□

وأخيراً، لقد أثبت التاريخ أن أي تحالف بين الدين والسياسة أو بين السلطة والمقدس لا يكون دائماً في صالح الطرفين، وذلك لأن الدين إذا تم توظيفه سياسياً فإنه غالباً ما يفقد من روحانيته وسموه وتعاليه وبعده التربوي والأخلاقي، والدين إذا فرض شريعته على السياسة قيدها ونزع عنها مرونتها وطابعها الإجرائي والوظيفي، ومن المعلوم أن العلاقة بين المقدس والعنف علاقة معقدة وشائكة، ويمكن أن نعثر في الدين على دوافع إلى ممارسة العنف والاستبعاد، ولكن يمكن أيضاً أن نجد فيه الكثير لتجاوز العنف وتحقيق السلام وخاصة مبادئ التربية وقواعد الأخلاق وطقوس التضحية والفداء، وفي الواقع أن حقيقة الدين هو تجاوز للعنف ونشر للسلام وليس بث الفوضى والعدوانية والإرهاب.

(3) Ibid, p.115.□

الإرهاب الكلي

تذهب أرندت أنه لو حدث أن انتصر العنف الفوضوي على السلطة فإن النظام الجديد سيلجأ إلى ما يسمى "الإرهاب الكلي Total terror" للحفاظ على بقائه وكيونته، تقول حنة أرندت: "إن السلطة تمنع استخدام الوسائل الخارجية للإكراه، وحيثما تستعمل القوة تكون السلطة ذاتها قد أخفقت"^(٢٣)، ويظهر ذلك واضحاً عندما يتم استخدام الإرهاب من أجل الحفاظ على الهيمنة"^(٢٣).

وهنا يرتبط فعلاً الإرهاب بنوعية النظام السائد سياسياً واقتصادياً، كما ذكرت ذلك حنة أرندت خاصة في الأنظمة الشمولية، حيث تقول حنة أرندت: "إنه في البلدان الشمولية يتلازم الإرهاب والحملة الدعائية حتى يكونا وجهين لعملة واحدة، غير أن ذلك جزء من الحقيقة ليس إلا، إذ أن حلت الشمولية في استخدام رقابتها المطلقة "بدلت" الدعائية بالتلقين العقائدي وشرعت في استخدام العنف لتحقيق عقائدها الأيديولوجية"^(٢٤).

إن الإرهاب الكلي هو جوهر النظام الشمولي، حيث يعتمد الأنظمة الشمولية على الإرهاب والترهيب في القضاء على أي صور للمعارضة، تقول أرندت: "فإن الإرهاب في الأنظمة الشمولية يكف أن يكون وسيلة للقضاء على المعارضة، إلي كون ذلك وارداً في استخدامه، علي أن الإرهاب يصير كلياً إذ يغدو مستقلاً عن كل معارضة، وحكمة يؤول إلي إطلاقته حين لا يعود أحد معترضاً سبيلته، وإذا كانت الشرعية جوهر النظام غير الاستبدادي، وغياب القوانين جوهر الاستبداد، فإن الإرهاب أحرى ما يكون جوهر السلطة

(1) Hannah Arendt, Between past and future: eight exercises in political thought, Penguin Books, 1968, p.93.

(2) Hannah Arendt, On Violence, Op.cit, p.50.

□ قارن الترجمة العربية (حنة أرندت، في العنف، مرجع سابق، ص ٤٩).

(3) Hannah Arendt, the Origins of Totalitarianism, Harcourt Brace, New York, 1976, p.341.

إن الإرهاب الكلي في الأنظمة الشمولية، لا يوجد من أجل الناس ولا ضدهم، إنما يجدر به أن يوفر لقوي الطبيعة أو التاريخ وسيلة لتسريع حركتهما لا يكون لها مثيل، علي أن هذه الحركة التي تمضي إلي الأمام وفق قانون خاص بها، لا يمكن أن تعرقل علي المدى الطويل، إذ كلما تقدمت أتضح أن قوتها كانت أعظم من أقدر القوي التي كانت قد ولدتها نشاطات البشر وأرادتهم، ولكن يمكن للحركة أن تبطأ، والحق أن أبطاء الإرهاب الكلي قد يتم بصورة لا مفر منها، من قبل حرية الإنسان، التي لا يقوي الحكام الشموليين أنفسهم علي إنكارها^(٢٦).

في المقابل إن وجهة النظر الشمولية تعتبر أن مجرد أن يولد الناس ويموتون لا يعدو كونه عقبه مزعجة في سبيل قوي عليا، وعلي هذا توجب علي الإرهاب، بحكم كونه خادماً مطيعاً للحركة التاريخية أو الطبيعية، ألا تكتفي بالقضاء علي الحرية، أيا كان المعني المخصوص الذي أعطي لها، بل أن تقضي علي مصدر الحرية نفسه الذي أوتي المرء بحكم ولادته، والذي يكمن في الطاقة التي اكتسبها (بالولادة) في أن يكون بدءاً جديداً، علي أن الإرهاب ودائرته الحديدية، وتدمير تعددية الناس، وخلق (الواحد) بدءاً من المتعدد، وابتداع الواحد قد يتصرف، بلا شك، وكأنه يشارك نفسه في مسار التاريخ أو الطبيعة، وعلي أن هذه كلها هي محض وسيلة لا تكتفي بتحرير القوي الطبيعية والتاريخية فحسب، بل تسعى إلي تسريع مجراها بحيث تبلغ سرعة ما كانت لتقوي وحدها علي بلوغها أبداً، وإن هي تركت علي هواها، وفي المجال التطبيقي، يعني ذلك أن الإرهاب يزمع علي التنفيذ الفوري لأحكام الإعدام التي يجدر بالطبيعة أن تلفظها ضد الأعراق أو الأفراد (غير الجديرين بالحياة)، أو التي يعلنها التاريخ ضد الطبقات المتحضرة، وذلك دون أن

(٤) Ibid, p.464.□

(١) Ibid, p.466.

يتوقع من الطبيعة أو التاريخ كليهما أن يواصل مجراهما، بصورة أبطئ وأقل فعالية^(٢٧).

تري أرندت أن الإرهاب يختار ضحاياه دون الأخذ بالاعتبار الأفعال أو الأفكار الفردية، بل بحسب الحاجة الموضوعية المخصوصة التي يستدعيها المسار الطبيعي أو التاريخي، وفي الوضع الشمولي يكون الخوف أشيع بالتأكيد مما كان علي الإطلاق، غير أنه يفقد جدواه العملية، إذ تكون الأفعال التي يحدث عليها غير ذات نفع للإنسان، فلا تعينه علي التصدي للمخاطر التي طالما خشبها، والأمر نفسه يصح في التعاطف أو التأييد إزاء النظام، فالإرهاب الكلي لا يكتفي باختيار ضحاياه وفق معايير موضوعية فحسب، بل يتنقى جلاديه كذلك، أخذاً بالاعتبار قناعة المهياً وتعاطفاته، أقل ما أمكنة ذلك، وعلي هذا فقد صار إلغاء القناعات إلغاءً منتظماً، ومن حيث كونها محركاً للعمل، واقعاً معلوماً في روسيا السوفياتية والبلدان التابعة لها، منذ حملات التطهير الكبرى، والحال أن هدف التربية الشمولية لم يكن علي الإطلاق ترسيخ قناعات، إنما كان تدمير القدرة بتشكيل أي منها(القناعات)^(٢٨).

تري أرندت أن الإرهاب في صفته الكلية، والاستبدادي المحض، يعمد إلي القضاء علي كل العلاقات بين الناس، مثلما يقضي الإكراه- الذي ينطوي علي الفكر الأيديولوجي علي كل العلاقات مع الواقع، والحال أن تهيئة الناس لهذا الانقطاع تكفل بالنجاح إذ يفقد هؤلاء كل صلته لهم مع نظرائهم، وتنقطع أية رابطة لهم مع الواقع الذي يحيط بهم، ذلك أن الناس حالما يعدمون هذه الصلات، يفقدون ملكة الاختيار وملكة التفكير في آن معاً، فلا يعود النازي المقتنع خير المواطنين في الحكم الشمولي، ولا الشيوعي المقتنع أمثل المواطنين فيه، إنما يكون خيرهم ذلك المرء الذي يعدم لديه التمييز بين الحدث "fact" والتوهم "fiction" (ومن ضمنه واقع الاختبار)، والتمييز بين

(٢) Ibid, p.466.

(١) Ibid, pp.467,468.

الحقيقي "true" والمزيف "false" (ومن ضمنته معايير الفكر)^(٢٩).

إن فعالية الإرهاب ترتبط كلياً تقريباً بدرجة التفكك الاجتماعي "social atomization"، وسيختفي كل شكل من أشكال المعارضة والحياة السياسية، تقول أرندت: "إن هذا "التفكك" مصطلح أكاديمي شنيع وشاحب يعجز عن التعبير عن الأحوال التي تحدث وتترتب علي ذلك كلة، هذا "التفكك" يبقي ويزيد عبر المخبر الذي يصبح - حرفياً - كلي الحضور، لأنه لا يصبح مجرد عميل محترف مأجور للشرطة، بل يصبح كل شخص يقابله الإنسان في أي مكان"^(٣٠).

إن الإرهاب لا يمكن أن يسود الناس مطلقاً إلا في حال كونهم معزولين بعضهم عن بعض، وبالتالي فإن أولي اهتمامات كل الأنظمة الاستبدادية هي إحداث هذه العزلة، لذا يمكن أن تكون العزلة بدء الإرهاب، فهي الأرض الخصبة التي ينمو فيها الإرهاب، ويكون ثمرتها علي الدوام، وبهذا المعني تكون العزلة سابقة لإحلال الشمولية، وقد تكون العزلة منطبعة بطابع العجز، بمقدار ما تنشأ السلطة دوماً عن أناس يتحركون معاً (يعملون متوافقين) علي حد قول "بورك" Burke، إذ ليس للناس المعزولين أية سلطة، من حيث التعريف^(٣١).

ما ندعوه "العزلة" isolation في الدائرة السياسية يسمي "التباعد" Desolation^(٣٢) في دائرة العلاقات البشرية، والواقع أن الكلمتين تنبئان عن حالتين حقاً، تقول أرندت: "فأنا يسعني أن أكون منعزلة - أي في وضع يستحيل علي الفعل فيه لأن أحداً لا يشاركني في العمل، أي في وضع يشعرنني بالبعد عن كل مجتمع بشري، بحكم

(٢) Ibid, p.474.

(١) Hannah Arendt, On Violence, Op.cit, p.50.

قارن الترجمة العربية (حنة أرندت، في العنف، مرجع سابق، ص ٤٩).

(٢) Hannah Arendt, The Origins of Totalitarianism, Op.cit, p.474.

(٣) التباعد "Desolation" التي قد تترجم بعبارة "Loneliness" الشعور بالوحدة، ينبغي ألا تؤخذ بمعناها النفساني، فالتباعد هو الوحشية التي يستشعرها الإنسان الذي أقتلعه النظام الشمولي، وحرمة من الأرض، (مجال حركته وفعلة).

كوني شخصاً - دون أن أكون منعزلة، فالعزلة، علي هذا النحو، هي ذلك الطريق المسدود الذي ينساق الناس إليه حين تكون دائرة حياتهم السياسية، حيث يسعون سوية إلى تحقيق مشروع مشترك، قد دمرت، ولئن كانت العزلة مدمرة السلطة وملكمة الفعل، فأنها لا تبقى علي نشاطات الناس المنتجة فحسب، بل تكون ضرورية لتحقيقها أيضاً^(٣٣).

إن السلطة الشمولية تقوم علي أساس التباعد، أي علي اختبار عدم الانتماء الأقصى إلي العالم، وهي أشد اختبارات الإنسان يأساً وجذرية، تقول أرندت: "إن التباعد هو الأساس المشترك للإرهاب، جوهر النظام الشمولي، وتهيئة الجلادين والضحايا، بالنسبة للأيديولوجيا والمنطق وإنما يرتبطان ارتباطاً وثيقاً باقتلاع وانعدام الجدوى، اللذين كان أصابا الجماهير المعاصرة منذ بدء الثورة الصناعية، وصاراً إلي موضع حرج بصعود الإمبريالية في آخر القرن الماضي، وتفكك المؤسسات السياسية والتقاليد الاجتماعية في عصرنا الحالي، أن يكون المرء مقتلعا، يعني ألا يكون لديه مكان في العالم ومكان يقر له الجميع به ويضمنونه، أما أن يكون المرء غير ذي جدوى فهذا يعني أنه لم يعد يمت إلي العالم بأيّة صلة نسب أو انتماء، وعلي هذا يمكن أن يكون الاقتلاع شرطاً أولياً لانعدام الجدوى، كما يمكن أن يكون الانعزال (دون أن يتوجب ذلك) الشرط الأول للتباعد"^(٣٤).

إن الفارق الحاسم بين السيطرة الشمولية التي تقوم علي الإرهاب، والطغيان والدكتاتورية القائمين علي العنف، إن السلطة الشمولية لا تقف ضد أعدائها فقط، بل أيضاً ضد أصدقائها ومناصريها، حيث أنها تكون في حالة رعب مع أي سلطة وكل سلطة غيرها، بما فيها سلطه أصدقائها أنفسهم، تقول أرندت: "إن ذروة الإرهاب تكون عندما تبدأ الدولة البوليسية بالقضاء علي أبنائها، فيتحول جلال الأمس إلي ضحية اليوم، وهذه هي اللحظة التي تختفي فيها السلطة كلياً"^(٣٥).

(٤) Ibid, p.474.

(١) Ibid, p.475.

(٢) Hannah Arendt, On Violence, Op.cit, p.51.

فصديق ومناصر الأمس يصبح عدواً عند الإرهابي اليوم إذا خالفه في آرائه وتصورات، ولهذا يقال: "إن الإرهاب لا دين ولا ملّة له" ولذا ترفضه كل القوانين والشرائع، لذلك نجد أن نمو الإرهاب يُرجع إلى أعمال كثيرة وليس إلى سبب واحد خاصةً الإرهاب السياسي، ففي وثيقة خاصة أصدرتها الأمم المتحدة حول الإرهاب جاء فيها: "يعود نشوء الإرهاب السياسي إلى أعمال القمع التي تمارسها الأنظمة الاستعمارية والعنصرية والأجنبية ضد الشعوب التي تناضل من أجل تحريرها وحقوقها المشروعة في تقرير مصيرها واستقلالها في حريات الأساسية الأخرى"^(٣٦).

ولكن هذه الجدلية قد تقود إلى إرهاب مضاد من طرف الجماعات المضطهدة وهنا يتأكد الجواب عن السؤال الذي طرحته _ من قبل _ من يوجد الإرهاب؟ أو من أين يأتي الإرهاب؟ يحاول البعض أن يرمي معظم اللوم في نشأة العنف إلى الأنظمة الاستبدادية التي تمارس الحكم بالعنف والقمع والإرهاب، وذلك أن إرهاب الدولة نظراً لشراسته وتأثيره الواضح والعميق يشكل السبب الرئيسي لنشأة العنف عند الأفراد، وبالتالي نشأة إرهاب الضعفاء، وطالما هناك حكومات قادرة علي التنفّغ لممارسة العنف فإن الإرهاب المضاد يبقى الحل الوحيد من قبل رعاياها، ولكن هذا الرد غير مدروس ولا يستطيع أن تتم به مواجهة كل الأنظمة الشمولية، فالعنف غير قادر علي شل تلك الألة العميقة إن لم يزد في زيادتها، ففي النظام الشمولي يبدو أن إرهاب الضعفاء عاجز عن التأثير وذلك بمقدار ما تستطيع قوي القمع أن تقضي علي مقاومته أو معارضته، وعليه فالإرهاب يرتبط أكثر بمحاولة إقامة سلطة بالقوة أو بالعنف، أو محاولة تجسيد فكرة ما، وهو ما يسمى الإرهاب الإيديولوجي، كما قد تقوم السلطة بفعل الإرهاب للدفاع عن وجودها، ولهذا غالباً ما يرتبط الإرهاب بالبعد الإيديولوجي لأنه "عندما يتحول التطرف من موقف فكري إلى

(١) محمد السماك، الإرهاب والعنف السياسي، الطبعة الثانية، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ص١٧٥. (الوثيقة تعود لسنة ١٩٧٣م).

فعل عنيف ينقلب إلى إرهاب"^(٣٧)، وهذا ما جسده الدولة السوفياتية في الدفاع عن أيديولوجيتها، لأن الإرهاب في هذه الدولة يميل إلى القضاء على كل معارضة منظمة والنجاح المستمر للإدارة الشمولية... إن الحكام أنفسهم ليسوا سادة الإرهاب المطلقين^(٣٨).

هذا هو التفسير الأيديولوجي للإرهاب، لأنه في داخل كل أيديولوجي إرهابي ينتظر من يوقظه، فالإرهاب يرتبط بالتغيير الأيديولوجي بالدرجة الأولى لا التغيير الاجتماعي السياسي، وهذا ما يميزه عن العنف المشروع البناء وعن الثورة، من حيث أن العنف والثورة يعملان للبناء، والإرهاب يعمل للهدم، وعليه فهو ثنائي الاتجاه: إرهاب من الأسفل إلى الأعلى أي من الشعب نحو رأس الهرم السلطوي في موازاة مع الإرهاب النازل من الأعلى إلى الأسفل، وهذان النوعان من الإرهاب اللذان مازالا حتى اليوم في جدلية العلاقة بين السلطة والمواطنين^(٣٩)، إن العمل الثوري لا يعد عملاً إرهابياً لأنه يكون من الأسفل نحو هرم الرأس السلطوي، ولأنه ضد سلطة طاغية ويهدف إلى التغيير لا إلى زيادة التسلط.

الصفح والتعهد

- (٢) عبد الحميد أحمد رشوان، الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط.)، الاسكندرية، ٢٠٠٢م، ص ١٨.
- (٣) هيربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥، ص ٩٢.
- (١) محمد عوض الترتوري، اغادير عرفان جويجان، علم الإرهاب، دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص ٧.

(التسامح)

تشدد أرندت على أهمية الفعل وعلى القدرة التي تميز الإنسان بما هو كائن فاعل ومبدع وسياسي في الآن ذاته؛ فعلى الرغم من التصحر الذي يميز العصر الحديث بعد أن غزته الأنظمة الشمولية، ألا أن أرندت ترى أن للسياسة معنى: "معنى السياسة هو الحرية"^(٤٠)، ومهما حاول الفكر الفلسفي القديم والحديث على حد سواء أن يضع حداً فاصلاً بين (الحياة التأملية) و(حياة الفكر)، وبين (حياة الفعل) و(الحياة النشيطة)، فإن ماهية الإنسان الحديث هي الفعل السياسي، ونحن لا نستطيع أن نحيا إلا بموجب هذه الماهية، لأن أزمة العالم الحديث – إلى جانب مسؤولية التقنية والعقل الأداتي – تتمثل في انتشار العنف واستعمال القوة في كل مكان، إلى الحد الذي أصبح معه هذا العالم مجرد صحراء تزحف رمالها يوماً بعد يوم، ولكن على الرغم من ذلك ترى أرندت أنه ما زال في وسط الصحراء واحات تقاوم، وستظل تقاوم، شبح التصحر، تقول أرندت: "هم قادرون على تحويل الصحراء إلى عالم إنساني"^(٤١).

من جهة أخرى، فإن من سمات الإنسان الحديث أنه موجود بمعية الآخرين داخل العالم، وهو الأمر الذي جعل أرندت تقترح لمواجهة العنف، إمكانية الصفح "forgiving"، تقول أرندت: "إذ تتيح ملكة الصفح محو أفعال الماضي الذي تعلق أخطاؤه"^(٤٢)، كما تتيح الحوار والإيمان بالتعدد والمغايرة.

إن الصفح حسب مفهوم أرندت وحده قادر على معرفة الذات والتقرب إلى الغير، وهما من القيم التي لم تعد مقبولة في عالم الشمولية، حيث الانتقام والجشع والانطواء على الذات سمات تميز إنسان المجتمع الشمولي، تقول أرندت: "يُعتبر الصفح بحق نقیض

(1) Hannah Arendt, the Promise of Politics, Op.cit, p.108.□

(2) Ibid, p.201.

(3) Hannah Arendt, The Human Condition, University of Chicago Press, Chicago, 1998, p.237.

الانتقام "vengeance"، الذي يتحدد فعله كرد فعل ضد عشرة أصلية من هنا، وبعيداً عن التمكن من وضع حد للآثار المترتبة عن الخطأ الأول، يقوم بربط الناس بالسيرورة وترك رد الفعل المتسلسل، المتسمتة أعماله بالضخامة، بواصل سيره بكامل الحرية... إن الصّح، بعبارة أخرى، هو رد الفعل الوحيد الذي لا يقتصر على إعادة إنتاج الفعل، ولكنه يمارس فعله بطريقة جديدة ولا متوقعة، وغير مشروطة بالفعل الذي أنتجها، وهي التي تحرر بالتالي الصّاح والمصّفوح عنه^(٤٣)، وهنا تجد أرندت مدخلاً آخر لمحاولة تجنب الشر: إنه الصّح كمقابل للانتقام، فإذا كانت النزعة الانتقامية بكل نتائجها السلبية تدخل في صلب الهوية، فإن الحل الأنسب لتحقيق انسجام بين الضحية والجلاد هو الصّح، كمبدأ يحقق التسامح كأعلى قيمة إنسانية، بدلاً من أن تكون مجرد مبدأ أخلاقي متعال كما هو الحال عند كانط.

تري أرندت أن لولا صّح الآخرين عنا، الذي به نتخلص من تبعات أعمالنا، لبدت قدرتنا على الفعل كما لو كانت حبيسة فعل واحد يلتصق بنا إلى الأبد، ولبقينا ضحايا عواقبه، وآثاره تماماً مثل ساحر مبتدئ عاجز، في غياب الوصفة السحرية، عن إيقاف صنيعه أو التحكم فيه، ولولا التزامنا بالوعود، لكنا عاجزين عن الحفاظ على هوياتنا، ولتُكتب علينا أن نتيه بلا قوة ولا هدف، كل يهيم في ظلمات قلبه الوحيد، ويغرق في التباسات وتناقضات هذا القلب، ظلمات لا يبدها إلا النور الذي ينشره حضور الآخرين في المجال العمومي، بتأكيدهم هوية الإنسان الذي يعد والإنسان الذي يفي بوعد^(٤٤).

ولكن فهل يمكن أن يكون الصّح أداة لتجنب الجرائم التي ننسبها إلى الشر؟ تبدو مقارنة أرندت لمسألة الصّح مقارنة مسيحية لا تتجاوز التصور الكانطي في (الدين في

(١) Ibid, pp.240,241.

(٢) Ibid, p.237.

حدود مجرد العقل^(٤٥)، فإذا كان المسيح هو النموذج الأعلى الحامل لكل صفات الإنسان الكامل، فإن صفة الصفح كقيمة إنسانية نبيلة لا نجد تأثيرها الفعلي كمبدأ محايد للشرط الإنساني إلا في الدين المسيحي، كما تقول أرندت، إلا أن طابعه المسيحي هذا لا يلغي إمكانية علمنته، حيث تقول أرندت: "لقد كان المسيح وراء اكتشاف الدور الذي يلعبه الصفح في مجال الشؤون الإنسانية، ولا يجوز التذرع بكون هذا الاكتشاف قد تم في سياق ديني وجري التعبير عنه بلغة دينية، لكي لا نعامله بالجديّة المطلوبة من منظور علماني صرف"^(٤٦).

في مقابل ذلك، يُسَعَفنا التعهد "the promise" بالمقابل في خلق الثقة اللازمة لضمان العيش المشترك واستمرارية الجماعة تحت وطأة شعور مشترك بقسوة المستقبل وصعوبة التنبؤ به، تقول أرندت: "إذ يُمكن الصفح من محو أفعال الماضي، الذي تبقى «أخطاؤه» معلقة، تجثم بظلالها على كل جيل جديد مثل سيف دوموكليس، في حين توفر لنا الملكة الأخرى، الكامنة في الترابط بواسطة التعهدات، جزءاً من الأمان داخل هذا المحيط من اللايقين المتمثل في المستقبل، والتي من دونها تكون كل استمرارية، حتى لا نقول كل دوام في العلاقات البشرية، أمراً محالاً"^(٤٧).

إن النموذج السياسي الذي يمكن استخلاصه من ملكتي الصفح والتعهد نموذج يستلزم حضور الآخر والاعتراف بحاجتنا الدائمة إليه من أجل صنع العالم والمستقبل: فكل نهاية في التاريخ تتضمن بداية جديدة بالضرورة، وليست هذه البداية غير التعهد، وهي «الإشارة» الوحيدة التي لا يمكن للنهائية أبداً أن تبعث بها، وقبل أن تصير البداية حدثاً تاريخياً، فإنها الملكة الأرقى عند الإنسان؛ وهي مماهية لحرية الإنسان من الناحية

(3) إن كان في هذا الكتاب يذهب إلى تمجيد المسيحية واعتبار المسيح نموذج الإنسان الكامل، ويدعو إلى مملكة الرب على الأرض كخلاص من معضلة الشر المتجذر في الطبيعة الإنسانية.

(1) Ibid, p.238.

(2) Ibid, p.237.

السياسية، تضمن كل ولادة جديدة هذه البداية، فهذه الأخيرة هي كل إنسان في الحقيقة، فإن ما يعيننا من تصور أرندت للصفح والتعهد علاقتهما بالعيش المشترك والفضاء العمومي، فهما ملكتان تتبعان من الكينونة الإنسانية، لكنهما فعلا يُخرجاننا من ذاتيتنا ويجعلانها أكثر انفتاحاً على التواجد مع الآخرين؛ إذ الصفح، كما التعهد، لا يكون تجاه الذات بل تجاه الآخر^(٤٨).

يبدو أن هذا الحل عند أرندت هو حل قيمى- أخلاقى يتوخى الاستجابة لنداء الفلاسفة منذ سقراط، فلا حل لتناقضات العيش المشترك والوجود معاً في الفضاء العام إلا بالتخلي بالقيم النبيلة التي لطالما نادى بها الإنسانية، وعلى الرغم مما يمكن أن يقال عن الصفح كأداة للتسامح والمصالحة، فإنها (كأداة وليس كقيمة) تطرح الكثير من المشكلات على المستوي العملي- السياسي: فهل يقبل الضحية بمصافحة الجلاد؟ وهل يقبل من أمضى نصف حياته في معسكرات الاعتقال، في الصحراء التي لا معنى فيها للوجود، أن يقبل الصفح، وأن يسامح إيخمان ويتصالح معه؟ وحدهم، أي الضحايا، قادرون على اتخاذ القرار.

(3) Ibid, p.237.

الخاتمة

من أجل ألا يبقى العنف والإرهاب واختزال الحياة الاجتماعية والسياسية إلى مجرد علاقات عنيفة، يجب علينا الرجوع لقوة شرعية، هذه القوة يجب أن تتمثل في سلطة تقوم علي أيديولوجيا معترف بها وواضحة للجميع، ولا يتم نقد هذه الأيديولوجيا إلا مقابل أيديولوجيا أخرى، وهذا الجدل والصراع بين الأيديولوجيات أيا كانت تلك الأيديولوجيات فهو يشكل أساس الحياة في الأزمنة الحديثة، وإن منع التنافس بين الأيديولوجيات سيؤدي إلى خضوع حياة الفكر إلى قوة النفوذ السياسي، وسيعيد الحياة السياسية إلى الكفاح المسلح ضد تلك القوة، والذي سينتصر فيها علي الأرجح وبشكل غير قابل للجدال القوة العسكرية الأقوى.

لذلك فإن البديل الديمقراطي الذي يستطيع تجاوز العنف الذي تمارسه السلطة، فإنه يجب التفكير فيه من خلال أطر سياسية جديدة تتعدى منطلق السيادة، أي لابد من تحسين جذري في نوعية الاحتجاجات والمشاركة السياسية وحماية الحريات المدنية، وأيضاً تحسين طبيعة الحياة المدنية وحياة المواطنين بطرق موضوعية، وذلك ما يتطلب تكافؤ أكبر بين السلطة والموارد داخل المجتمع ورفع مستوى البشر كفاعلين مستقلين، أي لابد من توسيع الديمقراطية وإدماجها أكثر في الحياة الاجتماعية.

ومن هنا لابد من التأكيد على الجانب الثقلي في إيجاد الحلول لمشكلة العنف والإرهاب، وذلك من خلال تجديد الخطاب الثقلي، ومعرفة الأيديولوجيا المحركة لجماعات العنف ومقاومتها بالحوار والتواصل، لا بالسلاح فقط، فهناك سبل عديدة لمواجهة العنف السياسي ومكافحة آثاره، والتقليل من أضراره، منها:

- أن يتم تداول السلطة بشكل سلمي، بعيداً عن وسائل العنف والإكراه والانقلابات السياسية.
- أن يتم ممارسه انتخابات حقيقية وديمقراطية بشكل دوري، يشترك فيها

الشعب بشكل حقيقي، ويتم اعتماد نتائجها.

- أن تعمل أجهزة الإعلام بموضوعية، دون عرض الأمر كتعاطف مع من يقوم بذلك العنف، والعمل علي نبذ من المجتمع.
- الاهتمام بنشر ثقافة نبذ العنف ورفع مستوى الوعي السياسي لدي الجماهير.

المصادر والمراجع

أولاً: اللغة الانجليزية

- 1- David Patrick Houghton, Political Psychology: Situations, Individuals, and Cases, Routledge, Taylor & Francis Group Ltd, Oxford, 2009, p.202.
- 2- Friedrich Nietzsche, Thus Spoke Zarathustra, Edited by Bill Chapko, Translated by Thomas Common, Feedbooks, 2010.
- 3- Hannah Arendt, Between past and future: eight exercises in political thought, Penguin Books, 1968.
- 4- Hannah Arendt, Essays in Understanding, Schocken Books, New York, 1994.
- 5- Hannah Arendt, On Violence, Harcourt Brace, New York, 1970.
- 6- Hannah Arendt, The Human Condition, University of Chicago Press, Chicago, 1998.
- 7- Hannah Arendt, the Life of the Mind, Harcourt Brace, New York, 1978.
- 8- Hannah Arendt, the Origins of Totalitarianism, Harcourt Brace, New York, 1976.
- 9- Hannah Arendt, the Promise of Politics, Edited by Jerome Kohn, Schocken Books, New York, 2005.
- 10- Martha Crenshaw, The Causes of Terrorism, Comparative Politics, Vol:13, No.4, City University of New York, 1981, pp.379–399.
- 11- Maxwell Taylor, Ethel Quayle, Terrorist lives, Brassey's, London, 1994, p.90.
-
-
-

ثانياً: اللغة العربية

- ١- إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، الطبعة الأولى، دار الساقى، بيروت، ٢٠١٥.
- ٢- بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩.
- ٣- حنة أرندت، في العنف، ترجمة أبراهيم العريس، دار الساقى، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
- ٤- زهير الخويلدي، مدنية الإسلام في مواجهة عولمة الإرهاب، الطبعة الأولى، E-kutub Ltd، لندن، ٢٠١٦.
- ٥- شحاته صيام، العنف والخطاب الديني، كتب عربي، ١٩٩٢.
- ٦- شعبان الطاهر الاسود، علم الاجتماع السياسي (قضايا العنف السياسي والثورة)، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.
- ٧- عبد الحميد أحمد رشوان، الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، الاسكندرية، ٢٠٠٢.
- ٨- محمد السماك، الإرهاب والعنف السياسي، الطبعة الثانية، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، (الوثيقة تعود لسنة ١٩٧٣).
- ٩- محمد عوض الترتوري، اغادير عرفان جويجان، علم الإرهاب، دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.
- ١٠- هيرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥.